

Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Colossians

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل كولوسي

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

رسالة بولس الرسول إلي أهل كولوسي

الاصحاح الثاني: عظمة عمل السيّد المسيح في حياتنا
"فإني أريد أن تعلموا أي جهاد لي لأجلكم، ولأجل الذين في لاودكية، وجميع
الذين لم يروا وجهي في الجسد. لكي تتعزى قلوبهم، مقترنة في المحبة لكل
غنى، يقين الفهم لمعرفة سرّ الله الأب والمسيح. المذخر فيه جميع كنوز الحكمة

والعلم" [1 - 3]

- بالرغم من وجود القديس بولس في السجن، لم يعقه شيء عن الصلاة الحارة
لأجلهم، ومع صلواته الكثيرة من أجلهم بعث إليهم برسالة، وبأحد معاونيه في
الخدمة "تيخيئس" ليشجعهم (كولوسي 4: 7 - 8).

- موضوع **جهاده** خاصة في الصلاة من أجلهم، ومن أجل إخوتهم الذين في
لاودكية (مدينة على بعد 10 أو 12 ميلاً من كولوسي) والذين لم يرههم ولم
يعرفهم بالاسم، هو تمتّعهم بتعزيات إلهية داخلية، وحب صادق، فيدركوا غنى
الفهم لسرّ الله الفائق، وينالوا معرفة صادقة لسرّ خطة الله الأب والابن الوحيد
الجنس. فلا يكون للشك أو الارتياب أي موضع فيهم.

في هذه الرسالة يحدثنا القديس بولس عن سرّ له جوانب أربعة، تتكامل معاً في حياة المؤمن:

1. سرّ الكنيسة جسد السيد المسيح (1: 24)، حيث يفتح باب الإيمان للأمم أيضاً.
2. سرّ الحياة في السيد المسيح: "المسيح فيكم، رجاء المجد" (1: 27).
3. "سرّ الله الأب والمسيح" (2: 2): فإنه يحلّ في المسيح كل ملء اللاهوت، وهو الذي يهبنا حياة المملء. ما هو "سرّ الله الأب والمسيح؟" هو سرّ خطة عمله، موضوع مسرّة الأب والابن معاً، وسرّ معرفة الأب خلال إعلان الابن عنه لمؤمنيه. وكما يقول السيد المسيح: "الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبر" (يوحنا 1: 18). قبل الصليب ما كان يمكن للبشر إدراك سرّ العلاقة بين الأب والابن، التي انكشفت بالصليب والقيامة.
4. مذكر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم: كل من الحكمة والعلم أو المعرفة هو من إعلان الله عن ذاته لنا، نقتنيه فنحمل الحكمة الإلهية والمعرفة السماوية. وهذا يرد على تعليم الغنوسيين أنهم قادرون بجهادهم البشري البحت، وقدراتهم الفكرية الذاتية أن يتعرفوا على الحق ويبلغوا الخلاص، بدون السيد المسيح.

"وإنما أقول هذا لنلا يخدعكم أحد بكلام ملق (ناعم أملس). فباني وإن كنت غائباً في الجسد، لكني معكم في الروح، فرحاً وناظراً ترتيبكم ومثانة إيمانكم في المسيح" [4 - 5]

- أخبرهم أن يحترسوا من أي شخص يريد أن يأسرهم بحكمة زائفة وخداع باطل حسب تقليد الناس، تلك الحكمة المؤسسة على عناصر كونية، بدلاً من ارتكازها على السيد المسيح. فبدلاً من تدارس الفلسفات الباطلة والتعاليم الكاذبة والأناجيل المزيفة، يجدر بنا دراسة الحق ومعرفة جيداً لنعرف كيف نميز أي انحراف عنه. يقوم إيماننا الأقدس على أساس الرسل والأنبياء، والرب يسوع المسيح نفسه حجر الزاوية (أفسس 2: 20).

- إن كان القديس بولس غائباً عنهم بالجسد لكنه كان حاضراً معهم بالروح، يتهلل بترتيبهم وعدم تشويشهم، كما يفرح بثبات "مثانة" إيمانهم في الرب يسوع. هذا ليس بالأمر الغريب، فقد كان قلب الإشع النبي يئن وهو يرافق جيحزي عندما لحق بنعمان السرياني يطلب منه هدية (2 ملوك 5: 20 - 27). مرة أخرى يؤكد القديس بولس لأهل كورنثوس: "فباني أنا كاتي غائب بالجسد، ولكن حاضر بالروح... إذ أنتم وروحي مجتمعون" (1 كورنثوس 5: 3 - 4).

"فكما قبلتم المسيح يسوع الرب، اسلكوا فيه. متأصلين ومبنيين فيه، وموظدين في الإيمان، كما عَلَّمْتُمْ، متفاضلين فيه بالشكر" [6 - 7]

- **"اسلكوا فيه"**: لأنه الطريق الذي يقودنا إلى الآب، وليس في الملائكة، فإنهم لا يقتدرون أن يبلغوا بنا إليه. فمن يقبل السيد المسيح يسلك فيه بكونه الطريق الإلهي، فيستطيع أن يجتاز العالم بقلبه وفكره، ويعبر كما إلى حضن الآب.

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: **[ما يتأصل لا يمكن زعزعتة. تأملوا كم يختار من عبارات مناسبة. "ومبنيين" أي في الفكر عنه (عن السيد المسيح) و"موظدين" فيه، أي ثابتين وراسخين فيه، مبنيين كما على أساس. إنه يكشف لهم أنهم قد انهاروا، لأن الكلمة "مبنيين" لها هذه القوة، لأن الإيمان هو في الحقيقة بانيان، يحتاج إلى أساس متين وبناء مأمون (مضمون) لأنه إن لم يُبْنِ الإنسان علي أساس مضمون يهتز البناء... فإن لم يكن راسخاً لن يصمد.]**

- يقول القديس أغسطينوس: **[هيا أيها الأحباء التفتوا إلى ما يقدمه لكم من نصح غال، فهو يقول: "كما قبلتم المسيح يسوع...". ففي هذا الإيمان البسيط والمؤكد يجدر بنا أن نمكث راسخين فيه، حتى يفتح هو ذاته للمؤمنين المخباين فيه، إذ هو: "المذخر فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة"، وهو لم يخفها عن أحد لكي يرفضوها، بل ليثير فيهم الاشتياق للأمر المذخرة.]**

"انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة، وبغرور باطل، حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح" [8]

- بعد أن أعلن القديس بولس فرحه بتمسكهم بالتقليد الذي تسلموه من الرسل بخصوص شخص ربنا يسوع المسيح، أخذ يحذرهم من خداع الفلسفات الكاذبة.

- بقوله: **"انظروا"** يقدم تحذيراً من السقوط في سبي الفلسفة أو الاستعباد لها.

- يرى في المعلمين الكذبة أشبه بتجار العبيد الذين يحملون أسرى الحرب قسراً إلى أسواق العبيد تحت ستار الكلمات المعسولة الملقاة، فيحرمونهم من حرية مجد أولاد الله. يدعوها **"غرور باطل"**، لأنها جوفاء لا تقدم إلا الفراغ، لأنها تصدر عن العالم والفكر البشري البحت، فلا تحمل قوة الله للخلاص. كان العالم أسيراً لفكرة أن أمور البشر تسير قصراً حسب تحركات الأفلاك وكانت الفلسفات تدعي أنها قادرة أن تخلص الإنسان من شر هذه القوات. فيحذرهم أن لا يفسدهم أحد عن الإيمان بالسيد المسيح بفلسفة وخداع باطل الذي يهمل تدبير العناية الإلهية **"بحسب تقليد الناس"**. لأن الحكمة التي هي بحسب التقليد الإلهي إنما تطابق وتتبع تدبير العناية الإلهية، وأما الذين يهملون ظهور المخلص من أجل خلاصهم، فهم منقادين **"حسب أركان العالم وليس حسب المسيح"**.

"فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا. وأنتم مملوون فيه، الذي هو رأس كل رياسة وسلطان" [9 - 10]

- يعلن القديس بولس بأكثر وضوح أن في السيد المسيح يحل "ملء اللاهوت جسديًا"، وأن السيد المسيح هو الرأس، "رأس كل رياسة وسلطان"، وبهذا فإن المؤمنين يشتركون في ملء السيد المسيح لأنهم جسده.
- بعد إعلانه أنه في السيد المسيح يحل كل ملء اللاهوت جسديًا، يكشف فورًا عن سرّ صعودنا في الكلمات "أنتم مملوون فيه"، فكما أن ملء اللاهوت هو فيه، فنحن قد صرنا مملوءين فيه (نلنا من ملئه)، اي مكتملون فيه.
- إذ تحقق التجسد باتحاد اللاهوت مع الناسوت، صار لنا حق التمتع بغنى السيد المسيح خلال اتحادنا معه، إذ نصير مملوئين فيه. خلال هذا الملء صار لنا إمكانية القيامة معه، والجلوس معه في السماويات (أفسس 2: 6)، وأن نملك أيضاً معه (2 تيموثاوس 2: 12)، لا يعوزنا شيء (رومية 8: 32)، إذ يصير كل شيء هو لنا (1 كورنثوس 3: 21) وبهذا يتحقق قول الكتاب: "ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة" (يوحنا 1: 16).

"وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيدٍ، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أقمتم أيضاً معه، بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات" [11 - 12]

- إذ صرنا مملوون فيه نتمتع بالختان الروحي، أي العماد، فنخلع الإنسان القديم ونلبس الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه. في هذا الختان لا تنزع غرلة الجسد الظاهرة، بل غرلة القلب التي تتعارض مع مشيئة الله والطاعة لوصاياه. لقد وبخ القديس اسطفانوس اليهود لأنهم قساة القلوب وغير مختونين بالقلوب والآذان (أعمال 7: 51)، وعاد القديس بولس يوضح مفهوم "اليهودي" كعضو في جسد إسرائيل الحقيقي انه مختون القلب بالروح (رومية 2: 28 - 29). وتعبير "مدفونين معه في المعمودية" تشهد بالكيفية التي كانت تتم بها آنذاك في عصر القديس بولس، إذ كانت تتم بالتغطيس فقط (رومية 6: 3 - 5)، حيث يموت المعمدون "بخلع جسم خطايا البشرية" أي "الحياة العتيقة" فتضمن قيامته قيامتنا (1 كورنثوس 15: 20 - 23). وقوله "التي فيها" يؤكد أن المعمودية ليست رمزًا، بل هي عمل حيث يتم الدفن مع السيد المسيح والقيام معه.

"وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلّف جسدكم، أحياكم معه، مسامحاً لكم بجميع الخطايا. إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدّاً لنا، وقد رفعه من الوسط، مسمراً إياه بالصليب. إذ جرد الرياسات والسلطين، أشهرهم جهازاً، ظافراً بهم فيه" [13 - 15]

- ثمر الخطية هو الموت الناتج عن الانفصال عن الله مصدر الحياة، وأما الإيمان والتمتع بالمعمودية ففيهما خبرة الحياة مع السيد المسيح غافر الخطايا. - الصك الذي محاه السيد المسيح هو أشبه بإقرار كتابي يكتبه المدين يعترف فيه بالدين أو المخالفة للقانون الإلهي، ويوقع عليه. هذا الصك يعلن عن مخالفة اليهودي للناموس المكتوب، ومخالفة الأممي للناموس الطبيعي. جاء في ارميا النبي: **"خطية يهوذا مكتوبة بقلم من حديد، برأس من الماس، منقوشة على لوح قلبهم وعلى قرون مذابحكم" (إرميا 17: 1).** إذ صُلب ربنا يسوع، أخذ معه هذا الصك وسمره على الصليب، ماحياً بذلك مفعوله. لم يقف الأمر عند رفع الصك الذي سجلناه بعصياننا للوصية الإلهية، وإنما بالصليب زال سلطان قوات الظلمة علينا، فلم يعد لإبليس القتال للناس منذ البدء (يوحنا 8: 44) والذي يشتكي علينا أمام إلهنا ليلاً ونهاراً (رؤيا 12: 10) قدرة.

"فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت. التي هي ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح" [16 - 17]

- الطقوس اليهودية من أكل وشرب وأعياد معينة وهلال وسبت؛ هذه جميعها رموز تشير إلى عمل السيد المسيح الخلاصي. وإذ أكمل السيد هذه الرموز، انتهت مهمتها. جاء النور فزال الظلال، كمثل إذ جاء السيد المسيح فصحنا الذي ذبح لأجلنا، صرنا لا نعيد بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق (1 كورنثوس 5: 7 - 8). يقول القديس أغسطينوس: [جاء نور العالم وأزال الظلال. فإن (وصيته) السبت أمرت بواسطة السيد المسيح نفسه الذي كان مع الأب حين أعطيت الشريعة. لقد أمر بها، ولكنها كانت ظلاً لما يأتي بعد ذلك... لقد جاء الآن الذي بمجيئه أعلنت هذه الأمور. لماذا نبتهج بالظلال؟ افتحوا أعينكم أيها اليهود، فإن الشمس قائمة.]

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [خلاصة الأمر كله، إن أراد البعض أن تقترب إلى الملائكة لا إلى المسيح، وهذا أمر صعب علينا (تصديقه)، لهذا يفت القديس بولس أنظارهم إلى ما فعله السيد المسيح **"بدم صليبه"** (1: 20)، وعلى هذا الأساس يقول إنه **"تألم لأجلنا"**، وأنه **"أحبنا"** (1 بطرس 2: 21).]

"لا يخسرکم أحد الجعالة، راغبًا في التواضع وعبادة الملائكة، متداخلًا في ما لم ينظره، منتفحًا باطلاً من قبل ذهنه الجسدي. وغير متمسكٍ بالرأس، الذي منه كل الجسد بمفاصل ورُبُطٍ، متوازراً ومقترباً ينمو نمواً من الله"

[19 - 18]

- تسلت بعض المبادئ الغنوسية إلى اليهود، فجاء في التلمود البابلي تعليقاً على قول الرب: "ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك... احترز منه... لأن اسمي فيه" (خروج 23: 20-21)، بأن الملاك هو يهوه الأصغر. لذلك تبنى معتقو الغنوسية اليهودية مبدأ عبادة الملائكة، مدعين أنهم أدركوا هذا خلال فلسفتهم التصوفية، وفي كبرياء كانوا يفتخرون بأنهم يعرفون الملائكة.

- مع ادعائهم بالتواضع وهم متكبرون، وعبادتهم للملائكة، فقدوا اتحادهم بالرأس ربنا يسوع، ففقدوا حياتهم إذ صاروا كجسم بلا رأس، وبالتالي فقدوا حتى ارتباطهم ببعضهم البعض، لأنه كيف يمكن للمفاصل أن تربط جسماً بلا رأس؟ وكيف يمكن له أن يحيا؟ وكيف ينمو بدون الرب الإله رأس الجميع؟ وعبارة "غير متمسك بالرأس" تساوي "ليس بحسب المسيح" في آية 8، فلا سبيل إلى استبعاد السيد المسيح عن مركز حياتنا. وكلمة "جسد" هنا تشير إلى الكنيسة الذي يتألف من أعضاء كثيرين، كل منهم يقوم بخدمته، مثل "مفاصل ورُبُط".

"إذا إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كأنكم عاشون في العالم، تُفرض عليكم فرائض. لا تمس ولا تدق ولا تجس" [21 - 20]

- إذ يتحول القديس بولس عن التحذيرات السلبية، يقدم بعض النواحي الإيجابية لعلاقتنا بالسيد المسيح. فالشركة في آلام السيد المسيح وموته هي اتحاد مع عمله المصالحة الذي تحقق بالصلب، والشركة في قيامته هي اتحاد مع كل أمجاد شخصه.

- إن تعاليم الناس قد رُفضت، وزال ثقل ناموس العهد القديم [14] فهل نحن أحرار أن نطيع أو نرفض كما يحلو لنا؟ كلا! فعوضاً عن أن نتقيد بكم هائل من النواميس، صرنا أحراراً لكي نحفظ وصايا السيد المسيح (يوحنا 15: 10). يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يقول، لستم في العالم، فكيف بكم تخضعون لعناصره أو لمعاييرها؟ تأملوا كيف يهزأ بها: "لا تلمسوا، لا تمسكوا، لا تدوقوا" وكأنني بهم جنباء لا ينشغلون بالقضايا الجسام بل بأمور (تافهة)، بتلك الأشياء التي تؤول كلها بالاستعمال إلى الزوال، هكذا حظ من كبرياء البعض ولهذا سيشرح إنها "حسب وصايا وتعاليم الناس".]

"التي هي جميعها للفناء في الاستعمال، حسب وصايا وتعاليم الناس. التي لها حكاية حكمة، بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد، ليس بقيمة ما من جهة إشباع

البشرية" [22 - 23]

- وُضِعَ الناموس لِيُحْفَظَ، وليعبر عن الحب الذي نكنه للرب يسوع. فعندما يصبح قمع النفس والتدريبات والتعصب، أهداف في حد ذاتها، نكون قد تجاوزنا عمق القيمة التي فيه وصرنا ننفذ أفكار الهرطقة.

- التدريبات الخاصة بضبط النفس وقمع الجسد لها بركاتها وأهميتها، إن قدمت في الرب يسوع لأجل البنين الداخلي وخلال الاتكاء على صدر الرب والتمتع بعطية الروح وعمل النعمة الإلهية. أما إن تحوّلت إلى "حكاية" (أخذ المظهر الخارجي) للحكمة، مع إذلال الجسد وقهره بالعنف فلا قيمة لها، إذ لا تهب شعباً داخلياً.

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [وإن كانوا يظهرون كحكام بقمعهم الجسد بعنف واهتمامهم، فلنحد عنهم. فقد يبدو الشخص متديباً ومتواضعاً، ويستخف بالجسد... كتب الرسول أنهم يهينون الجسد، ويحرمونه من الحرية ويجردونه منها، ولا يسمحون لهم أن يضبطونه بإرادتهم. أما الله فيكرم الجسد.]



Colossians 3:14

But above all these things put on love, which is the bond of perfection. (NKJV)

"وعلى جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال"

(كولوسي 3: 14)